

( - منظمة تغطية الحرب والسلام )

كان للعراق يوماً أفضل نظام تعليمي في الشرق الأوسط. جامعنا بغداد والموصل كانتا مركزين للفكر والتقدم، ونسبة التعلم في العراق كانت عالية. الحروب غيرت هذا الواقع، ابتداء بالحرب الطويلة مع إيران والتي تلتها حرب الخليج الأولى ثم الحصار الذي فرض على العراق منذ 1991. بدأ النظام المدرسي منذ ذلك الحين بالإنهيار، وتسرب الطلاب من المدارس بالإزدياد حيث اضطر الأطفال الى دخول سوق العمل لإعالة عوائلهم، وانخفضت خلال 10 سنوات نسبة التسجيل في المدارس الى 53% من الاطفال، وفقاً للمنظمة الأمريكية للتنمية الدولية.

حينما أطاحت قوات التحالف بنظام صدام حسين في أبريل 2003 كان النظام التعليمي في العراق متأخراً ومدمراً أصلاً. وفي الأيام الأولى كان هناك أمل بين الناس حيث ازدادت نسب التسجيل في المدارس، مع وعود جازمة من قبل منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) بالإضافة الى الحكومة الأمريكية ووزارة التربية العراقية واخرين لإعادة بناء الاف المدارس المهملة والنهوض بمستويات التعليم الوطني. ولكن مرة أخرى حلت الحرب. فوضى الصراع كان لها تأثير سلبي على الحياة اليومية في المدارس والجامعات والوقوف عائقاً في طريق التعديلات الأساسية المطلوبة في النظام التعليمي.

كما ادى انعدام الأمن الى صعوبة إجراء الاحصاءات اللازمة. التقرير الأخير الذي قدمته منظمة يونيسيف كان عام 2004 وقدر نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة 74% من سكان العراق.

التعليم في العراق لم يعد متقلاً بالتسييس البعثي في المناهج الدراسية، ولكنه كان وما زال بنفس المستوى من المركزية، اذ تقرر وزارة التربية في بغداد أي المواد يتم تدريسها، أي المدارس يعاد بناؤها وسوى ذلك من القرارات المهمة.

في كردستان العراق أكثر هذه القرارات تسيطر عليها وزارة التربية في الحكومة المحلية.

مدراء التربية في المحافظات يتواصلون بكثافة مع الوزارة، ولكن التعليم، مثل أمور كثيرة أخرى، أخذ موقفاً متراجعاً أمام الملف الأمني الذي يحظى بالأولوية.

الصراع في العراق يجري في الشوارع، ولاسيما العاصمة بغداد التي كانت يوماً مزدهرة. هذا الصراع يؤثر على كل مناحي الحياة، ومنها التعليم الذي بدأ بالانهيار. فالكثير من المدرسين يرفضون الدوام بسبب الأوضاع الأمنية، والمدارس التي تقع في مناطق مختلطة طائفياً تغلق أبوابها لعدة أسابيع أو أشهر أحياناً، ويضطر الأهل حيال هذه الظروف الخطيرة الى سحب أولادهم من المدارس.

تشير (منظمة تغطية الحرب والسلام) البريطانية ان التربويين في محافظة البصرة الجنوبية يحاولون بإصرار إعادة بناء المدارس الا انهم مثقلون بأعداد كبيرة من المهاجرين من مناطق أخرى الى الجنوب. أما في جامعة البصرة فيستخدم الطلاب المنتمون الى الميليشيات المسلحة وسائل مخيفة لتهديد أساتذتهم والتأثير على النظام التعليمي.

وبالرغم من كل الصعوبات الا ان الصورة ليست قاتمة تماماً. فالمدارس الطينية التي قام ببنائها شيوخ العشائر في السماوة لإتاحة الفرصة للأطفال بالتعليم تبشر بالخير، الا ان الوزارة في بغداد أهملت نداءاتهم المتكررة لتوفير أبنية حديثة. ولأول مرة يتعلم الأطفال الأكراد والترکمان بلغتهم الأم في كركوك بعد سنوات من الاضطهاد الصدامي. ويستمر إقليم كردستان بكونه الأكثر تألقاً في العراق في مجال التعليم ولاسيما بعد افتتاح الجامعة الأمريكية في السليمانية. وتطمح حكومة كردستان الى أن يتحول الاقليم الى حاضرة للتعليم العالي في المنطقة. ويهتم الشباب الكردي بتعلم الانكليزية حيث يدفع البعض مئات الدولارات لتعلمها في المعاهد الخصوصية. ويشتكى الطلاب في الإقليم الى انه بالرغم من حذف أي إشارة الى صدام وحزب البعث في المناهج المدرسية، الا ان المدارس والجامعات مازالت بعيدة عن طموح الطلاب في تحديث أساليب التعليم.